٢١٠٠٥٧٨
نوبت چاپ ١

سلسلة المعارف الإسلامية

(٧٣)

مُعَالَجَةُ ٱلْتَّخَلُّفِ ٱلْحِضَارِيِّ فِيْ ٱلْمُجْتَمَعَاْتِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ عَلَىٰ ضَوْءِ مَدْرَسَةِ أَهلِ ٱلْبَيْتِ عليهم السلام

الشيخ الدكتور علي الحكيم

تحظى إصدارات المركز
بالمتابعة والتقويم والإشراف العلمي

www.ketab.ir

الحكيم ، علي ١٩٦٤ م .
معالجة التخلّف الحضاري في المجتمعات الإسلامية علىٰ ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام / تأليف : علي الحكيم ، نشر مركز الرسالة .
قم المقدّسة ١٤٤٠ ـ ١٣٩٨ ص ١١٥ ، الفهرسة طبق نظام فيبا ،
المصادر بالهامش . اللغة عربية .
سلسلة المعارف الإسلامية : ٧٣ .
معارف عامة ، عقائد ، أحكام ، أخلاق ، تاريخ .
نظام ديوى ٣٣١/١٩٣٧٨٣٠٩٧٦٧١ ـ ٥ك/٢/٥٧٩ HD
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية الإيرانية ٥٧٣٢٥٨٩

شابك ٥ ـ ٦١ ـ ٧١٠٠ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

ISBN ـ 978 ـ 600 ـ 7100 ـ 61 ـ 5

الكتاب : معالجة التخلف الحضاري في المجتمع الإسلامي علىٰ ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المؤلف: الشيخ الدكتور علي الحكيم
مراجعة: مدير مركز الرسالة الدكتور ثامر العميدي
الناشر: مركز الرسالة
الطبعة: الأُولى / ١٤٤١هـ
المطبعة: الوفاء
الفلم والألواح الحسّاسة: تيز هوش
العدد المطبوع: ٢٠٠٠ نسخة
السعر: ١٠٠/٠٠٠ ريال

www.ketab.ir

www.ketab.ir

كلمة المركز

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على حبيب قلوبنا نبيّنا الأمجد، أبي القاسم محمد، وآله المعصومين أهل الحلّ والعقد.. وبعد.

اتّصف النظام الإسلامي العام في العهد النبوي الشريف بصفات ذات أبعاد إيمانيّة واعتقاديّة مأخوذة من مبادئ نظريّة قرآنيّة تقوم على أساس من الواقع العملي التطبيقي اليومي يغطّي حياة الفرد والمجتمع. ولأجل أن يكون بناؤهما سليماً ومنسجماً مع روح الشريعة الخاتمة وأهدافها؛ نظّم الإسلام العلائقَ والروابط بينهما، وتحدّث عن الحقوق الفرديّة والأسريّة والمجتمعيّة بما ليس له نظيرٌ في دساتير العالم القديم والمعاصر، ويكفي أن لائحة الحقوق العالميّة المعاصرة التي صارت محطّ اهتمام المؤسّسات الدوليّة والمنظّمات الإنسانيّة، وأضحى الاهتمام بها والتسابق في تمجيدها لحشد التأييد لمنابرهم الفكريّة والثقافيّة حتّى اتّخذها الاستعمار العالمي وسيلة للهيمنة والتدّخل في شؤون البلدان الإسلاميّة وغيرها؛ كان الإسلام سبّاقاً إلى تقرير تلك الحقوق وإعطائها أكبر الاهتمام والعناية، مع بيانه الواجبات المقترنة بتلك الحقوق بجميع تشعّباتها بحيث لم يدع ملحظاً كلّيّاً أو جزئيّاً من تلك الحقوق والواجبات إلّا وتعرّض له بكلّ دقّة وتفصيل وإحكام. مركّزاً في مبادئه على العدالة والمساواة في توزيع الثروة، واستتباب الأمن والسلام، وما هو المطلوب من الفرد والمجتمع في حالات السلم والحرب، وما هي حدود الحريّات العامّة والخاصّة، مبيّناً الطرق والوسائل التي تساعد في تنمية الطاقات لخدمة العباد والبلاد، آمراً بسيادة المحبّة، وإشاعة روح التعاون، وتشجيع التكافل والتضامن، وازدهار الفضائل والمكارم. وأخرج الإنسان من عالم الأساطير والخرافات والأوهام إلى عالم جديد يحترم العلم وأهله، حتّى ربط

www.ketab.ir

عقيدة المسلم وإيمانه بالعلم ارتباطاً وثيقاً، مع الأخذ بأسباب العلم والتطوّر، مؤكّداً على ضرورة اجتناب كلّ بدعة؛ لأنّها النِدّ المقابل للسنّة المطهّرة، والضدّ النوعي الذي لا يلتقي معها أبداً. وقد أقام الإسلام مكاناً للعلماء ليس له نظير حتّى كَأَنَّ موت العالم في أدبياته أعظم من كلّ كارثة، ولم يحتكر العلم على طبقة المترفين وذوي النفوذ، بل جعل - بإنسانيّته وعالميته وتحضّره - لكلّ جيل حصّة من العلم والمعرفة والتطوّر إلى يوم القيامة، مع إبقاء فرص النجاح مفتوحة، وفرص التنافس على الإبداع والعمل الصالح المثمر بين جميع البشر قائمة، وهو ما نفهمه من قوله تعالى في الآية الثالثة والخمسين من سورة فصلت: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكفهم بربك أنه على كل شيء شهيد﴾.

لقد رأى كلّ جيل آيات جديدة، حتّى إذا ما انقرض ذلك الجيل، رأى الجيل الجديد آيات جديدة أخرى تلائم عصرهم ودرجة رقيّهم، وستبقى عملية الرؤية تلك ليل نهار، جيلاً بعد جيل، واكتشاف بعد اكتشاف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد أراد الإسلام العظيم بقرآنه الكريم وسنّته المعصومة أن يرتقي المسلمون علميّاً وحضاريّاً إلى أعلى الدرجات؛ لأنّهم الأُمّة الوسط، والوسط لا يمثّل موقعاً جغرافيّاً، بل هو استراتيجيّة علميّة مدروسة لا تميل إلى يمين أو يسار، استراتيجيّة صارمة لا تلعب الأهواء والحكومات المتعاقبة بمقدراتها، ثابتة لا تتزعزع.

والشهادة على الناس في قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾، هي شهادة من نوع آخر تختلف عن عالم الشهادات المقروءة والمسموعة؛ لأنّها شهادة تشبه الثورة الملتزمة بكلّ مسؤوليّاتها تجاه الرعية، تشهد عليها بالفعل الإيجابي، والتغيير الدائم، والسعي المتواصل نحو حياة حرّة كريمة، والخروج عن كلّ وضع أو حالة أو صيغة لا تربطها صلة بالمبدأ، ولا يرتضيها الرسول الشاهد الذي بُعث للناس جميعاً. وهذا ما

www.ketab.ir

يفسّر لنا قول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون»؛ إذ عليه أن يواكب مسيرة التطوّر في حياته كلّ يوم، خدمة لنفسه ومجتمعه ودينه، ولا يكون ساكناً كالحجر في مكانه.

وعمل الإسلام على تحوّل الروابط الاجتماعيّة القائمة على أساس العرق واللون والقبيلة والعشيرة والثروة إلى أساس التقوى والفضيلة والإخاء الإنساني، فشدّ المسلمين بعضهم إلى بعض، وأعطاهم صفة الأخوّة، بل أكثر من ذلك أعطاهم صفة الأعضاء في الجسد الواحد، إشارة منه إلى وجوب اشتراك الكلّ في القيام بالوظائف المطلوبة لتحقيق الهدف الإسلامي الكبير في رقي الأُمّة وتطوّرها بما يضمن لأفرادها سعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك عبر تنسيق عمل الكلّ وبتخطيط دقيق للقيام بوظيفة الكيان الإسلامي العام كما هو الحال بقيام أعضاء جسد الإنسان بتناسقها الدقيق بوظائف الإنسان اليوميّة، فضلاً عمّا يعنيه ذلك التوصيف من ضرورة شعور كلّ فرد مسلم بآلام أخيه المسلم، وأن يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وأن يعينه بلسانه ويده.

ورفع الإسلام من مستوى الواعز الذاتي من منطلق «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته» بجعل كلّ مسلم في أيّ مكان وزمان وموقع مسؤولاً عن كلّ ما يقع من انحراف أو تقصير في حدود الدائرة التي يمكنه التحرّك فيها، وتحميله مسؤوليّة أي إخفاق حاصل في حدود تلك الدائرة؛ إذ الواجب عليه بذل ما يستطيع لرفع العقبات التي تحول دون إنجاز أو تطوير العمل المطلوب، ومحاسبة نفسه بنفسه على ذلك من دون أيّ رقيب؛ لتنضبط بتلك المراقبة الذاتيّة حركاته وسكناته، بل حتّى نواياه.

ومن ثَمَّ نظر الإسلام في نظامه العام إلى فطرة الإنسان، وميوله وغرائزه، وحبّه لذاته، وروحه وجسده ولم يستغرق في التنظير لأحدهما على حساب الآخر، بل أعطى لكلٍّ حقّه، ونظر أيضاً إلى ما يعتريه من أطوار في حياته من الطفولة إلى الهرم، ونوع ارتباطه

www.ketab.ir

مع العالم الخارجي، وفلسفة وجوده، موجّهاً طاقاته إلى الخير في البناء والتغيير وبما يناسب حجم استخلافه في هذه الأرض ومسؤوليّته في إعمارها.

إنّ الموازين العقليّة الدقيقة المجرّدة عن كلّ ما يشدّها إلى ماضيها ويربطها بموروثها الثقافي، لا تستحسن قبيحاً قطّ، ولا تستقبح حسناً أبداً، ولهذا نرى تراكم شهادات واعترافات العقلاء المنصفين شرقاً وغرباً ومن جميع حركات التطوّر العالمي والمعرفي والرقي الحضاري الفلسفي والمادي بحسن مبادئ الإسلام وقيمه ومثله وتشريعاته وسائر منطلقاته النظريّة؛ لارتباطها المباشر بتجليّات حاجات الفرد والمجتمع على صعيد الواقع بعيداً عن المثالية المجرّدة التي لا يمكن تطبيقها.

ومعرفة موقف الإسلام تجاه أية مسألة، تتطلّب الإحاطة بجوانبها النظريّة في مبادئه التي هي بمثابة القاعدة لتلك المسألة، ثمّ النظر إلى الحالة التطبيقيّة لها المنطبقة مع حدودها وقيودها وشروطها تمام الانطباق بلا قصور أو تقصير، وبشرط الاحتراز من كلّ تطبيق مخالف وإن انطلق من الدائرة الإسلاميّة نفسها؛ خشية من تحميل الإسلام تبعة الجهل في تطبيق قواعده، خصوصاً وإنّ تشرذم المسلمين إلى مذاهب وفرق مختلفة يؤيّد وجود الخطأ والاشتباه، بل والانحراف أيضاً في إنزال المبادئ النظريّة للإسلام على أرض الواقع.

والإسلام لم يدع هذا الأمر الخطير هملاً بلا رقيب ليكون تقييم التطبيقات - حينئذٍ - خاضعاً للأهواء والآراء المختلفة، وإنّما حلّ هذا الإشكال، في تبيين المرجع للأُمّة في كيفيّة معرفة موقفه تجاه كلّ مسألة نظريّاً وتطبيقيّاً كما في حديث الثقلين الشريف (كتاب الله، والعترة الطاهرة عليهم السلام).

ومن هنا ندرك السرّ وراء محاولات أهل البيت عليهم السلام في إعادة الوجه المشرق للنظام الإسلامي بتطبيقه على أرض الواقع كما لوكان في عهدي النبيّ والوصي عليهما السلام.

www.ketab.ir

ونظرة سريعة في ملامح تضحياتهم ومحاولاتهم عليهم السلام تلك، تبرز لنا بوضوح تامّ ظاهرة تربيتهم لجيل متميّز من الأتباع؛ ليكونوا طيّبين ذوي نفوس نقيّة، وقلوب طاهرة لا تشكّك في البديهيات، ولا تنكر الواضحات، ولا تدير ظهرها إلى الحقّ من أجل شيءٍ تافه، بل تتّخذه سراجاً ينير لها الدرب، ويدلّها على معالم الطريق؛ ليأخذوا دورهم في التعبير عن رسالة الإسلام التكامليّة؛ لأنّها رسالة حضاريّة علميّة وعالميّة، لا تنازع فيها على رهانات خاسرة، رسالة تحترم العالِم المتجرّد عن كلّ ما يشدّه إلى أرضه، ليكون قادراً على معرفة الحقائق التي يمكن للمجتمع الارتقاء من خلالها إلى مديات أرحب أُفقاً، وأوسع ميداناً، وأعمق تجربةً وتطوّراً. رسالة تحترم الكفاءة والتخصّص، وتحثّ أتباعها على الإبداع والتطوير والأخذ بأساليب الرقي والقوّة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فالإسلام كدين ونظام شامل للحياة لم تقصر مبادؤه في شيء يحتاجه الفرد أو المجتمع، ولم يغب عنها شيء من أسباب التقدّم والازدهار العلمي والتطوّر الحضاري، ولكنّها تعرّضت إلى انتكاسات خطيرة حدّت من فاعليّتها على أرض الواقع بفعل السلطات المتعاقبة الحاكمة باسم الإسلام والقائمة على تطبيق تلك المبادئ على وفق مصالحها الضيّقة، منذ أن وصل الطلقاء إلى السلطة وحتّى بعد تمزيق الامبراطوريّة الإسلاميّة إلى دويلات وكيانات بعد الحرب العالميّة الأولى، ولا زال الحال هكذا ممّا أدّى ذلك إلى ضياع جهود المصلحين عبر التاريخ الإسلامي، واختلّ النظام، واضطربت الأحوال، وفُقدت حريّة الرأي، وصار المال ملكاً للسلطة تنفقه كيفما تشاء، وأضحى القضاء ركناً للدفاع عنها، وتسلّق الانتهازيون والجهلاء النفعيّون في ظلّ تلك الأوضاع في جلّ الدول الإسلاميّة إلى مواقع السلطة، وأُبعد الشرفاء والعلماء المخلصون عن كلّ موقع، وحوصروا لأنّهم في فلسفة الاستبداد حفنة من الخونة والجهلاء والعملاء! ناهيك عن استفحال ظاهرة الاستبداد والاضطهاد الفكري وتفشّيها

www.ketab.ir

في الأنظمة المعاصرة، تلك الظاهرة التي قضت على حريّة الفكر والابداع، والحوار الهادف، والمناظرة، إلّا ما صبّ في خدمة وجود تلك الأنظمة وبقائها، وهي لا تعبّر عن أهداف الإسلام ولا عن تطلّعاته وطموحاته. وتحميل الإسلام تبعة تصرّفاتها مع بعدها عن الإسلام وهموم المسلمين ليس من العلم والتحقيق في شيءٍ البتّة، لما بيّناه من الأُطر النظريّة العامّة لمبادئ الإسلام، والتي لو التزم بها المسلمون لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. وقد بيّن هذا الكتاب الآراء المتطرّفة التي نظرت إلى الإسلام بعين مريضة ومن جهة واقع المسلمين الرازح تحت نير سلطة الاستبداد الفاسدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين

مركز الرسالة

www.ketab.ir